

ال الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

أبو بكر يَقَانِقُ مَا نَعَى الزُّكَاةَ

عبد الحميد جودة السحار

٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا »
(الزكاة ٢٩)

١

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَرَى تَوَطُّيدَ
سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُدُودِ الشَّامِ ، فَقَدْ بَلَغَهُ
تَفَكُّيرُ الرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْكُمُونَ الشَّامَ ، فِي مَهَاجَةِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أَرْسَلَ لِقِتَالِهِمْ جَيْشًا بِقِيَادَةِ زَيْدِ بْنِ
حَارِثَةَ ، وَقُتِلَ قُوَّادُ هَذَا الْجَيْشِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقِتَالِ الرُّومِ ، وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ
تَبُوكَ ، وَلَكِنَّ الرُّومَ لَمْ يَقَابِلُوهُ ، بَلِ انْسَحَبُوا إِلَى
دَاخِلِ بِلَادِهِمْ ، فَلَمَّا أَتَمَّ النَّبِيُّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ ، أَمَرَ
بِتَجْهِيزِ جَيْشٍ لِلخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ ، وَأَمَرَ عَلَى الْجَيْشِ
أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ .

كَانَ أُسَامَةُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ ، وَكَانَ فِي
جَيْشِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ ، وَقَبْلَ أَنْ

يسير جيش أسامة ، مات رسول الله ، وأصبح
أبو بكر خليفة رسول الله ، فدخل الناس عليه ،
وقالوا له :

- إن الأمور قد تبدلت بعد موت الرسول ،
ولا يعلم أحد ما يستجد من الأمور إذا بلغ
القبائل خبر موت محمد .

فقال أبو بكر :

- والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن
السباع تخطفني ، لأتخذت بعث أسامة ، كما أمر به
رسول الله ، ولو لم يبق في القرى غيري لأتخذتها .
وقال أسامة لعمر :

- أرجع إلى خليفة رسول الله ، فاستأذنه
لي أن أرجع بالناس ، فإن معي وجوه الناس
وحدهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله وعلى

المسلمين أن يتخطفهم المشركون .

وسار عُمرُ ليدخل على أبي بكر ، فجاءه
الأنصارُ وقالوا له :

- إنَّ أبايَ إلَّا أنْ نَغْضِي ، فأبلغه عنا ، واطلبْ
إليه ، أنْ يُؤَلِّيَ أمرنا رجلاً أقدمَ سِنًا من أسامة .
دخل عُمرُ على أبي بكر ، وقال له :
- أسامةُ يستأذنُ أن يرجعَ بالناس .

فقال أبو بكر في عزم :

- لو خَطَفَتْنِي الْكِلَابُ وَالذَّنَابُ ، لَا أَرُدُّ قِضَاءً
قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ :

فقال عُمر :

- الْآنَصَارُ يَطْلُبُونَ أَنْ تُؤَلِّيَ رَجُلًا أَقْدَمَ سِنًا
مِنْ أُسَامَةَ .

فثارَ أبو بكرٍ وَغَضِبَ ، وَوَثِبَ عَلَى عُمرَ الَّذِي

كان الناس يَخْشَوْنَهُ ، وَجَذَبَهُ مِنْ لِحْيَتِهِ جَذْبَةً
شديدة ، وصاح فيه : ثِكْلُكَ أُمُّكَ وَعَدِمْتُكَ
يَا بَنَ الْخَطَّابِ ، اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَأْمُرُنِي
أَنْ أَنْزِعَهُ ۚ

وخرج عمرُ إلى الناس ، فأسرعوا إليه يسألونه :
- ماذا فعلت ؟

فصاح فيهم : امضُوا ثِكْلُكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ،
مَا أَشَدَّ مَا لَقِيتُ فِي سَبِيلِكُمْ مِنْ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ .

٢

نَفِخَ فِي الْبُوقِ ، فَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ لِيَخْرُجُوا فِي
جَيْشِ أُسَامَةَ ، وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَدْ كَانَ
جُنْدِيًّا فِي هَذَا الْجَيْشِ ، وَأَقْبَلَ أُسَامَةُ رَاكِبًا جَوَادَهُ ،
وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسِيرُ عَلَى رَجْلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى أُسَامَةَ ،

هم بأن ينزل عن جواده ، فأشار له أبو بكر أن
يبقى فقال أسامة :

- يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن
أو لا تنزلن .

- والله لا تنزلن ووالله لا أركب ، وما على أن
أغبر قدمي في سبيل الله ساعة ، فإن للغازي بكل
خطوة يخطوها سبعائة حسنة تكتب له ، وسبعائة
درجة ترفع له ، وأن ترفع عنه سبعائة خطيئة .

لكن أبو بكر الجنود الذين تحت إمرة أسامة
درساً في احترام القائد ، وأراد أن يلقيهم درساً
آخر في توقيره ، فقال لأسامة :

- إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل .

لم يأمر أبو بكر ببقاء عمر معه في المدينة ، وهو
الحاكم الناهي ، بل استأذن قائد الجيش في بقاءه

مَعَهُ لِيُعَيِّنَهُ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَسَمَ لِكِبَارِ الصَّحَابَةِ
طَرِيقَةَ مُعَامَلَةِ قَائِدِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ
عُمُرِهِ ، عَلَّمَهُمْ أَنْ يَحْتَرِمُوهُ ، وَأَنْ لَا يَسْتَخِفَّ بِهِ أَحَدٌ .
أَشَارَ أُسَامَةُ بِيَدِهِ لِعَمْرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَخَرَجَ
مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ . وَأَشَارَ أَبُو بَكْرٍ لَجَيْشِ أُسَامَةَ
بِيَدِهِ ، وَقَالَ :

- انْدَفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ .

وَخَرَجَ جَيْشُ أُسَامَةَ قَاصِدًا الشَّامَ .

٣

فَرَضَ الْإِسْلَامُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الزَّكَاةَ ، وَكَانَ
النَّبِيُّ يُرْسِلُ رِجَالًا يَجْمَعُونَهَا مِنَ الْقِبَائِلِ ، فَكَانَتْ
الْقِبَائِلُ ، تَدْفَعُ لَهُمُ الزَّكَاةَ ، فَتُحْمَلُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
وَيَقُومُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوَازُعِهَا عَلَى
الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَيُعْتَقُ بِهَا الْعَبِيدَ ، وَيُفَقِّقُ بِهَا

على الدولة . فلما مات رسول الله ، جاءت وفودُ
القبائل إلى المدينة ، وعرضوا على أبي بكر أن
يُصلّوا ، وأن لا يدفعوا الزكاة ، فرفض أبو بكر
هذا العرض ، لأن الزكاة ركنٌ من أركان الدين ،
وعزم على أن يقاتلهم حتى يؤدّوا الزكاة ، فقال
له عمر :

- كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ
حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَهَا ، فَقَدْ عَصَمَ
مَنْ مَالَهُ وَنَفْسَهُ ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ » .
طلب عمرُ منه أن يتركهم وما هم عليه من
منع الزكاة ، ويحييهم في الإسلام ، ثمّ هم بعدَ
ذلك يزكون ، فقال له أبو بكر :

- أجبارٌ في الجاهلية ، خوَارٌ (ضعيف) في

الإسلام ؟ إنه قد اقطع الوحي وتم الدين ، أو
ينقص وأنا حي ؟ والله لأقاتلن من فرق بين
الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله
لو منعوني عناقاً (غزرا) كانوا يؤدونها إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعها .
وعادت الوفود إلى قبائلها ، وقد بان الغدرفي
الوجوه ، فجمع أبو بكر كبار الصحابة ، وقال لهم :
- إن الأرض كافرة ، وقد رأى وفدكم قلة ،
(بعد خروج جيش أسامة) ، وإنكم لا تدرون
أليلاً تؤتون (أي تغزون) أو نهارا ، وقد كان
القوم يأملون أن تقبل منهم ونوادعهم ، وقد أئنا
عليهم ، فاستعدوا وأعدوا .

وليس السامون عدة القتال واستعدوا للدفاع
عن المدينة ، وخرج علي بن أبي طالب ، والزبير

ابنُ العوام، وسعدُ بنُ أبي وقاص، وقرَّ من المسلمين
لحمايةِ مشارفِ المدينة ، وبقيَ سائرُ المسلمين
مُدجَّجين بالسَّلاح ، على استعدادٍ للقتال ، إذا
ما فكرَ أحدٌ في مداهمهم .

وتحرَّكتِ القبائلُ المجاورةُ قاصدةً المدينة ،
وبلغ الخبرُ أبا بكر ، فخرجَ بالمسلمين ، ليدافعَ عن
دينِ الله ، رأى أنَّ يَهْجُمَ على العدوِّ في الليل ،
قبل أن يَهْجُمَ عليه العدوُّ بالنَّهار ، فسارَ في الليل ،
حتى بلغَ مُعسكرَ الأعداء ، واقتضَّ المسلمونَ على
أعدائهم ، وراحوا يُعْمِلُونَ السُّيُوفَ فِيهِمْ ، حتى
هَرَبُوا ، فسارَ المسلمونَ وراءهم .

كان الأعداءُ قد تركوا مَدَدًا من الرِّجالِ
خلفهم ، فانضمَّ المَدَدُ إلى الهارين ، ووقفوا في وجهِ
المسلمين ، ودار القتالُ شديدًا رهيبًا في الليل .

وأحسَّ المسلمون راحلهم تنهقرُ مرعوبةً ، وظلَّتْ تنهقر ، فقد جاء الأعداء باوعيةٍ من جلودٍ تفخوها وربطوها بالحبال ، وضربوها بأرجلهم في وجوه إبل المسلمين ، تخافتِ الإبل ، واستمرت في تنهقرها حتى دخلت المدينة .

ونام الأعداء تلك الليلة ، حسبوا أنهم انتصروا على المسلمين ، ولكنَّ المسلمين لم يذوقوا للنوم طعماً . وراح أبو بكر يستعدُّ لمعاودة الهجوم قبل أن تطلع الشمس . وسار أبو بكر مرةً ثانيةً إلى الأعداء قبل الفجر ، فرآهم ناعمين ، فهجم المسلمون عليهم ، وراحوا يقتلونهم . فقاموا من نومهم خائفين ، وهربوا مرعوبين مهزومين .

وانتصر أبو بكر على الذين جاءوا يرغمونه على أن يقبل مبدأ عدم دفع الزكاة ، تخافتِ

القبائلُ منه ، وجاء المسلمون من مختلفِ القبائل
إلى المدينة يحملون الزُّكَاةَ ، وعاد جيشُ أسامةَ
إلى المدينة ، فتَوَيَّ المسلمونَ به ، وكانت بعضُ
القبائلِ قد تركتِ الإسلامَ بعد موتِ النَّبيِّ ، وكانَ
بعضُ الكذَّابينَ قد ادَّعوا النُّبُوَّةَ ، فرأى أبو بكرٍ
مُحاربةَ الَّذِينَ ارتدُّوا ، فكَوَّنَ أَحَدَ عَشَرَ جَيْشًا
لِقِتَالِهِمْ ، وخرَجَتِ الجُيُوشُ لِقِتَالِ مدَّعى النُّبُوَّةِ
وأتباعِهِمْ ، لرفعِ الرَّايةِ الإسلاميَّةِ على بلادِ العربِ
جميعِها ، كما كانت مرفوعةً موفورةً الكرامة ، قبلَ
موتِ الرُّسُولِ .

٤

ادَّعى مُسَيِّمَةُ النُّبُوَّةِ ، فلم يصدِّقْهُ من قومه
خلقٌ كثيرٌ ، فقد كان ضئيلَ الجسمِ ، أصفرَ اللَّوْنِ ،
لا هِيَةَ لَهُ ، ولا يَبْعَثُ مَظْهَرَةً على الاحترامِ ،

وقد ادعى النبوة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث النبي إلى أهل البجعة - قوم مُسِيمة - من يعلمهم دينهم ، وكان هذا الرجل الذي أرسله محمد هو « نهار الرجال » .

رأى نهار الرجال أن يخون الأمانة ، وأن ينضم إلى مُسِيمة ، وأن يتفق معه ، فهو بهذا يستطيع أن يكسب الدنيا ، وإن خسر الآخرة ، فانضم إلى مُسِيمة ، وقال للناس :

- إن محمداً يقول : إن مُسِيمة قد اشترك

في الرسالة .

وصدق أهل البجعة « نهاراً الرجال » وكان سرورهم عظيماً ، ففهم نبي ومن قرير نبي ، ولم يفتنوا إلى أن مُسِيمة كذاب ، وأن « نهاراً الرجال » خائن باع آخرته بدنياء .

وماتَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرْسَلَ
أَبُو بَكْرٍ إِلَى مُسَيْلَمَةَ جَيْشًا ، بِقِيَادَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ
أَبِي جَهْلٍ ، وَلَكِنْ عِكْرِمَةَ هَزَمَ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ
جَيْشًا آخَرَ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، قَائِدِ الْإِسْلَامِ
الْأَوَّلِ ، وَسَيْفِ اللَّهِ الْمَسْلُوقِ .

سَارَ جَيْشُ خَالِدٍ ، حَتَّى وَقَفَ جَيْشُ خَالِدٍ وَجَيْشُ
مُسَيْلَمَةَ وَجْهًا لَوَجْهِهِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتِ الصُّدُورُ حِمَاةً ،
فَالْمُسْلِمُونَ يُدَافِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَأَهْلِ الْيَمَامَةِ عَنْ
نَبِيِّهِمُ الْكَذَّابِ ، وَدَارَتْ رَحَى الْمَعْرَكَةِ رَهِيَّةً ،
فَلَمْ يَثْبُتِ الْمُسْلِمُونَ وَتَهَقَّرُوا ، وَسَاءَ بَعْضَ ذَوِي
الْجَهَمِ الْعَالِيَةِ أَنْ يَنْهَزِمَ الْمُسْلِمُونَ ، فَعَزَمُوا أَنْ
يَثْبُتُوا فِي الْمَيْدَانِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَجْرَةِ
الْمُرْتَدِّينَ ، وَثَارَتِ الْحَمِيَّةُ فِيهِمْ ، فَانْطَلَقَ زَيْدُ بْنُ
الْخَطَّابِ إِلَى نَهَارِ الرِّجَالِ ، وَتَاجَلَّه بِضَرْبَةٍ فَقَتَلَهُ

وشدّد المسلمون التّكبير ، وراح أتباع مُسِيمةَ
يَسْقُطُونَ حَوْلَهُ قَتْلَى ، فرأى خالدٌ أن يسيرَ إلى
مُسيمةَ ليقْتُلَهُ فتنهَى المَرْكَهَ ، فهجم عليه وهوَ
يُصِيحُ : « وأحمّدها » ! وما بلغ صَوْتُهُ آذانَ
المُسلمينَ حتّى فارتِ الدُّمَاءُ في عروقِهِمْ ، وأخذوا
يُطَيِّحُونَ رُؤُوسَ المَخْدُوعِينَ في نَبِيهِمْ ، ورأى
مُسيمةَ ضغطَ المُسلمينَ عليه ، وطلبَ خالِدُ لَهُ ،
فدبَّ الدُّعْرُ في ثِقَبِهِ وَقرَّ ، وقرَّ من كانَ حَوْلَهُ .
وصاح صائحٌ : « إلى الحديقة ... إلى
الحديقة » . فدخل القومُ حديقةً كانتْ لمُسيمةَ ،
وكانتْ واسعةَ الأرجاء ، منيعةَ الجدران ، كأنّها
الحِصْنُ ، وأغلق بابُ الحديقةَ ، فراح المسلمونَ
يَتَسَلَّقُونَ الجدرانَ ، ويقاتلونَ الأعداءَ ، حتّى
فتحوا بابَ الحديقةَ ، فتدفّق المسلمونَ منه كالبحرِ ،

وَقُتِلَ مُسَيْلَمَةُ ، وَقُتِلَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَاتَّصَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ ،
وَاتَّصَرَتْ جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَادَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
فَاسْتَقْبَلَهَا أَبُو بَكْرٍ مَسْرُورًا ، فَقَدْ أَعَادَ لِلْإِسْلَامِ
هَيْبَتَهُ ، وَأَقَامَ دَعَاةَهُ ، وَأَرْغَمَ الْقَبَائِلَ عَلَى أَنْ
تُوَدِّىَ الزَّكَاةَ ، وَاسْتَعَدَّ أَبُو بَكْرٍ لِيُرْسِلَ الْجِيُوشَ
لِنَشْرِ دِينِ اللَّهِ ، وَإِقَامَةِ أَرْكَانِهِ . وَتَوَطَّيْدِ
بُيَانِهِ .